١٢٨٥



خطاب صاحب الجلالة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة العربي الاستثنائي بالدار البيضاء

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو

اصحاب السعادة

حضرات السادة

إنها لغبطة كبيرة وعميقة تغمرنا جميعاً في المغرب بلدكم، وتغمر أشقاءكم الملايين من المغاربة حين يرونكم مجتمعين هنا لتتدارسوا وتتشاوروا ولتجتمع كلمتكم على التقوى والحق، متبعين في ذلك تعاليم ديننا الحنيف واخلاق نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم.

إنني اعتقد شخصياً أن مثل هذه اللقاءات وان لم تخرج بالاجماع في جميع نقطها واهدافها تكون عاملا اساسياً لما يستقبل من العمل، علماً منا أن الكمال لله وحده، وان الأمور بصعوبتها وتداخلها يسهل حلها بعد طرحها مرة بعد مرة بارادة وعزيمة واخلاص ولباقة وصبر وتحمل، وهذه الخصال التي ذكرت هي خصال الأمة العربية، تلك الأمة التي جعلها الله مثالا للناس ليحذوا حذوها ويسيروا سيرها، غير إنني بصراحتي المعروفة يجب أن أقول ما يلي : «إنني آسف عاطفيا وعقلانياً لرؤية بعض المقاعد شاغرة، علما مني ويقيناً بأنه حتى أولئك الذين تغيبوا في امكانهم وقدرتهم أن يعينونا برأيهم، وأن يأتوا بلبنتهم، لأن الحكمة والعقل والتبصر ليسوا وقفاً على دولة من الدول أو نظام من الأنظمة، فكيفما كانت معرفتنا للأمور واحاطتنا بها نحن في حاجة إلى أكثر ما يمكن من الأعضاء، لأن الأمة العربية امة مسلمة تصبح شلاء حينما تفقد عضواً أو اعضاء من جسمها.

فبإسمكم جميعاً وباسمي أقول بكل اخوة وعاطفة وإيمان، إننا آسفون جداً، أسف الأسرة، وأسف الصديق، أسف الأخ كيفما كانت الظروف والملابسات، إننا آسفون لغيابكم، ولكن من جهة أخرى لا نفقد الأمل في القريب العاجل في أن نلتقي مرة أخرى وشملنا مجتمع، ويد الواحد منا في يد الآخر، علينا إخواني أن نطور عقليتنا إذا نحن أردنا أن نكون في مستوى ما نمثله، وحينما أقول هذا أتوجه لنفسي أولا: لا أريد أن أعطي دروساً أو نصائح، أريد أن أنبه وأبدأ بنفسي لأنبهها هي نفسها، إن معاملة بعضنا للبعض في مثل هذه اللقاءات ليست في مستوى مسؤولياتنا، ولنأخذ مثالا من دول السوق الاوربية المشتركة فهي دول متقدمة جداً، هي التي تسلحنا بالأسحلة المتطورة وهي التي تزودنا بكل ما نحتاجه من وسائل التجهيز، وهي التي نتزود عندها بالألكترونيات والتكنولوجيا الحديثة المتقدمة، ومع ذلك فحينما تجتمع وهي مبتسمة فرحة متفائلة، وما هي مواضيع نقاشها واختلافاتها، إنها أسعار البطاطس والطماطم والدجاج ومع ذلك تأخذ موضوعها بعناية واهتمام، ونحن لدينا قضية مصيرية اكثر من هذا، قضية شرف وكرامة، أنا أريد حينما يمر أي انسان عربي في أي عاصمة من العواصم الأوربية أو الأمريكية الشمالية والجنوبية إما بعباءته وإما بجلبابه أن يسير — في الطرقات والشوارع — مرفوع الرأس وهو يحس بأنه محل اعتبار وتقدير لا لخيراته الطبيعية، ولكن لما يتوفر عليه من شعور بالمسؤولية.

علينا إذن وأبدأ بنفسي أن نحضر مثل هذه الاجتماعات بما يلزم لها من العناية والتقدير، فإننا لا نمثل أشخاصاً إنما نمثل ماضياً وحالا ونكيف مستقبلا، ونمثل شعوباً.نعم هناك في العالم من سيقول ماذا سننتظر من هذا المؤتمر المتفكك الأطراف؟ أقول، لا. المؤتمر ليس متفكك الأطراف، لأن قاسمه المشترك هو الكرامة العربية الآن المجسمة في الأراضي المحتلة، وفي قضية الشعب الفلسطيني، ولي اليقين أن هذا القاسم المشترك يجمعنا جميعاً من حضر ومن تغيب، فيجب علينا اذن أن نميز بين الأسباب الدافعة للتغيب وبين الأسباب التي تجعلنا نحضر، ولي اليقين ان قلوب وعواطف ومشاعر وعقلانية الذين تغيبوا هي الآن معنا، وإن كان جسدهم غائباً عنا، لأن القضية المشتركة وهي قضية فلسطين والكرامة العربية التي ترمز إليها أراضينا المحتلة، والقدس الشريف هي فوق كل اعتبار في عقل وقلب جميع الدول العربية بشعوبها وحكوماتها وقادتها، فعلينا إذن ان نتشبع بهذا وان نقول سياسياً لا دستورياً، لا. إننا عقلانيا ووجدانيا وتاريخيا كلنا يمثل من تغيب، لأن القضية العربية يمكن في بعض الأحيان أن تكون فرض عين، ويمكن في بعض الأحيان أن تكون فرض كفاية، فلنعدها إذن الآن فرض كفاية، فمن قام به الآن فكأنه قام بحجته.

أرجو الله سبحانه وتعالى لهذا المؤتمر أن يخرج بنتائج تسهل في الاجتماع المقبل اجتماع جميع الاخوة وجميع الأطراف، ولي اليقين أن هذا المؤتمر في أشغاله ومن جملة قراراته يسعى لوضع خطط واتخاذ تدابير لتصفية الأجواء العربية، وهذه هي النقطة الأولى ذات الأهمية في جدول أعماله، ولن نكتفي بالبكاء على الاطلال بتعداد ما هو واقع بين فلان وفلان وفلان، لا. ان شعوبنا لن تقنع بهذا وضمائرها لن تقنع بهذا، فعلينا إذن أن ننظر إلى هذه المشاكل أولا من الناحية الكونية كما هي، ولكن أن ننظر إليها بروح الطبيب المعالج، والطبيب المعالج يجب أن يعالج الأمور مادياً ومعنوياً، ماديا وهو أن ندخل كما نقول هنا في المغرب «كخيط أبيض بين هذا وذاك» ولكن معنويا ان نحفظ لكل أحد ماء وجهه وشرفه وكرامته، فحينها سنعالج إن شاء الله نقطة تصفية الأجواء العربية يجب علينا أن نتوجه إلى هذا المشكل، وأن نتعرض له بحكمة الطبيب العلمية ولباقة الصديق التي تحفظ لكل ذي كرامة كرامته، وتحفظ ماء الوجه للجميع.

ولا أريد أن أطيل عليكم أشقائي أكثر من هذا، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا حتى نصل إلى ما نحن بصدده، وما نحن بصدده سهل وصعب، سهل لاننا كلنا نقول : لا إله إلا الله، محمد رسول الله، صعب لأن هناك المشاكل البشرية لا أقل ولا أكثر، مشاكل انسانية وبشرية، فعلينا التغلب عليها بضبط النفس ونسيان الأنانية والتحلي بالصبر والمصابرة.

أعاننا الله جميعاً على هذا، والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 19 ذي القعدة 1405 ـ 7 غشت 1985